العدد 8 لسنة 2023
No. 8 – Feb. 2023
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
P-ISSN 2710-0952 E- ISSN 2790-1254

الجملة الوصفية عند تمام حسان (دراسة وصفية نقدية)

م . م عقيل نزار حسين
وزارة التربية، مديرية تربية البصرة
م . م قيصر حسن قاسم
وزارة التربية، مديرية تربية البصرة

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة الجملة الوصفية عند تمام حسان التي تقابل الجملتين الإسمية والفعلية التي يكون فيها المسند وصفاً عاملاً مكوناً من صفة الفاعل أو المفعول أو التفضيل أو المبالغة أو الصفة المشبهة ، ومَن فاعله ومفعوله إذا كان متعدياً ، وقد أضاف د. تمام حسان هذا النوع من الجمل إلى تراكيب اللغة العربية في ضوء دراسته التي أعادت وصف منهج دراسة اللغة العربية في المستوى التركيبي ، وتهدف الدراسة أيضا إلى دراسة الجملة الوصفية ونقدها نقداً موضوعياً ؛ لإعطائها رأيا ، إما موائما لرأي تمام حسان أو مخالفا له وفق معطيات وتقسيمات الجملة لدى القدماء .

كلمات مفتاحية: الجملة الوصفية ، أنواع الجمل ، تمام حسان .

The descriptive sentence of Tammam Hassan (a descriptive and critical study)

Asst .L. Aqil Nizar Hussein
Ministry of Education, Basra Education Directorate
Asst .L. Caesar Hassan Qassem
Ministry of Education, Basra Education Directorate

Summary:

This research aims to study the descriptive sentence when Tammam Hassan, which corresponds to the nominal and actual sentences in which the predicate is a factor description consisting of the adjective of the actor or effect or preference or exaggeration or suspicious adjective, and the actor and its effect if it is transitive, Dr. Tammam Hassan has added this type of sentences to the structures of the Arabic language in the light of his study, which re-described the curriculum for the study of the Arabic language at the synthetic level, and the study also aims to study the sentence descriptive and objectively criticized; to give it an opinion، either in line with the opinion of Tammam Hassan or contrary to it according to the data and divisions of the sentence of the ancients.

Keywords : The descriptive sentence - types of sentences - Tammam Hassan .

المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه المنتجبين .

وبعد ، تعدّ الجملة العربية من الموضوعات المهمة التي شغلت المختصين ، فقد درسوها وفصَّلوا في ذلك ، وخاضوا ، وتوصّلوا إلى الكثير من الأمور التي أثرت لغتنا العربية ، ولا زال البحث متواصلاً في موضوع الجملة ، ويُعدّ موضوع تقسيمها (الجملة العربية) موضوعا متشعبا، والمختلف فيها على مرّ مراحل البحث اللغوي ؛ إذ بدأت بالتقسيم الثنائي الذي لا ثالث له ، وهو الجملة الأسمية والجملة الفعلية ، ثم تطوّر الحال بمرور الزمن حتى نشأ تقسيم آخر شمل الجملة الظرفية والجملة الشرطية إلى أن وصل مدار البحث بين يدي

الدكتور تمام حسان مضيفا تقسيماً آخر وهو (الجملة الوصفية) وهو موضوع هذه الدراسة تحت عنوانه : **(الجملة الوصفية عند تمام حسان دراسة وصفية نقدية)** ، متناولا فيه مفهوم الجملة في التراث النحوي العربي القديم ، منتقلا بعدها لأنواع الجمل في العربية من ضمنها الجملة الوصفية ، مختتما بتحليلِ ما توصل إليه الدكتور تمام حسان متوصلا إلى نتيجة مفادها أنّ الجملة الوصفية هي جزء من الجملة الأسمية لا جملةً مستقلة بذاتها .

مفهوم الجملة في التراث النحوي القديم:

لم نجد عنايةً واضحةً عند النحويين القدماء بمفهوم الجملة التي تُعدُّ الوحدة الرئيسة في تركيب الكلام العربي ، فلا نجد عندهم تحديداً لمفهومها وإنما تناولوها بشكل عرضي في حديثهم عن الإسناد والمحل الإعرابي ، و قد كان تركيزهم على ظاهرة الإعراب وتفسيرها وفكرة العامل ، فلم تُعرّف الجملة في التراث النحوي تعريفاً واضحاً ، ولعل أقدم من يُنسب إليه مؤلّف يحمل عنوان : (الجمل) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 174هـ) ، ولكنّه لا يقصد الجمل بالمفهوم الاصطلاحي ، وإنّما قصد إجمال قواعد نحوية في مختلف أبواب النحو ملخّصاً قواعدها ، وموضحاً ما غمض منها فنجده يقول في بدايته : ((هذا كتاب فيه جملة الإعراب ...)) ، أما تلميذه النابه سيبويه (ت 180هـ) ، ذكر كلمة (جملة) في بعض المواضع من كتابه ؛ إذ يقول – مثلاً - في باب ما يحتمل الشعر : ((وما يجوز في الشعر أكثر من أن أذكره هاهنا ؛ لأن هذا موضع جمل))[1]، ويقول كذلك : ((فهذه جملة هذا كله))[2] ، غير أن كل هذه الاستعمالات للفظ (جملة) لم تكن دالة على المعنى الاصطلاحي ، وقد ذكر سيبويه في موضع آخر العناصر المكونة للجملة وهما المسند والمسند إليه كونهما طرفي الإسناد مُفْرِداً لهما باباً في كتابه ؛ فيقول : ((هذا باب المسند والمسند إليه))[3] ، موضّحاً فيه المقصود بالمسند والمسند إليه بقوله : ((وهما ما لا يُغني واحد منهما عن الآخر ، ولا يجد المتكلم بُدّاً فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه))[4] فالملاحظ بقول سيبويه أنه لم يذكر الجملة صراحة بل أشار إليها في درج الكلام بلحاظ المسند والمسند إليه .

غير بعيد العالم الجليل يحيى بن زياد الفرَّاء (ت 207هـ) والذي ذكر لفظ (جملة) في مواضع من كتابه (معاني القرآن) ، ولكنه لم يحدّد ملامحها ، و لا مفهومها ، ولم يضع تعريفاً لها[5]، فضلا عن المبرد (285هـ) أول من استعمل مصطلح الجملة في النحو ؛ أي الجملة بمعناها الاصطلاحي ، وقد قصد الجملة الدالة على الفعل والفاعل ، والمبتدأ والخبر ؛ فيقول : ((وإنّما كان الفاعل رفعاً ؛ لأنَّه هو والفعل جملة يحسن السكوت عليها ، وتجب بها الفائدة))[6] ، وقد حدد المبرد مفهوم الجملة بقوله : ((يحسن السكوت عليها ، وتجب بها فائدة))0

أمّا ابن هشام الأنصاري (761هـ) أول من بسّط القول في الجملة عن طريق تحديد أبعادها ، وقد أفرد لها باباً خاصاً في كتابه (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) ، وقد عُدّتْ دراسته عن الجملة دراسة علمية ممنهجة ، فقد عرّف الجملة بقوله : ((والجملة عبارة عن الفعل وفاعله مثل: (قام زيد) والمبتدأ والخبر مثل: (زيد قائم) ، وما كان بمنزلة أحدهما نحو : ضُرب اللص ، وأقام الزيدان ، وكان زيد قائماً ، وظننته قائماً))[7].

أنواع الجمل في العربية:

إنّ علماء النحو قديماً قسّموا الجملة وِفقاً لمبدأ الإسناد إلى قسمين لا ثالث لهما هما الاسمية والفعلية، بيدَ أنهم اختلفوا بحكم نوع المدرسة التي ينتمون إليها في مسألة التقديم والتأخير في ما يتعلق بموضوع المسند والمسند إليه ، فمدرسة أهل البصرة أمثال سيبويه والمبرد قسّموا الجملة بحسب الصدارة ؛ إذ عدّوا من مثل : محمد قام ، اسمية كونها تصدرتْ باسم ، في حين عدّها الكوفيون من قبيل الجملة الفعلية ؛ لأنّهم عدّوا محمداً فاعلاً مقدماً ، فإنهم اعتمدوا في تصنيفهم لأنواع الجمل على قضية المسند والمسند إليه ، بيدَ أنّ ابا علي الفارسي أول مَن خرَج عن القسمة الثنائية للجملة وجعلها رباعية ؛ إذ ذكر أن : ((الجملة التي تكون خبر المبتدأ فعلى اربعة

أضرب : الأول: أن تكون مركبة من فعل وفاعل ، والثاني : أن تكون مركبة من مبتدأ وخبر ، والثالث : أن تكون شرطاً وجزاءً ، والرابع : أن تكون ظرفاً))[8] ، وقد سار الزمخشري على خطاه ؛ فقد أكّد أن الجملة الظرفية ، والشرطية من أنواع الجمل المستقلة [9] ، غير أن ابن يعيش اعترض على تقسيم الزمخشري للجملة ؛ فيرى أن الجملة في الحقيقة نوعان على نحو ما أقرّه اسلافنا من النحاة وهما : الإسمية والفعلية ، أمّا الشرطية والظرفية فهما من قبيل الفعلية والاسمية ؛ إذ يذكر في شرحه للمفصل : ((واعلم أنه قسم الجملة أربعة أقســـــــــام فعلية ، و إســـمية ، و شرطية ، وظرفية ، وهذه قسمة أبي علي وهي في الحقيقة ضربان : فعلية واسمية ؛ لأن الشرطية في التحقيق مركبة من جملتين فعليتين : الشرط فعل وفاعل ، والجزاء فعل و فاعل ، والظرف في الحقيقة للخبر الذي هو استقر وهو فعل وفاعل))[10] .

في حين فصّل ابن هشام في الجملة ، وأولاها عناية خاصة فبعد أن عرّفها وبيّن حدودها وقال انّها ثلاثة اقسام : الاسمية والفعلية والظرفية، معرفاً لهذه الجمل فالاسمية هي : ((التي صدرها اسم كزيد قائم، وهيهات العقيق، وقائم الزيدان، والفعلية هي التي صدرها فعل كقامَ زيدٌ، وضُرب اللص، وكان زيد قائماً، وظننته قائماً، ويقوم زيد وقم، والظرفية هي المصدَّرة بظرف أو جار ومجرور نحو : أعندك زيد ؟، و أفي الدار زيد؟))[11] ، وكان تقسيمه للجملة باعتبار المسند إلى قسمين : كبرى وصغرى ، فيوضح أنّ : ((الكبرى هي الاسمية التي خبرها جملة نحو : زيد قام أبوه، وزيد أبوه قائم، والصغرى هي المبنية على المبتدأ))[12] ، هذا فيما يخص النحاة القدامى ، أما عند المحدثين فمنهم من سار على نهج السلف وظل محافظاً على قسمتهم ودرس الجملة على أساسها ، والآخر قد اقترح تقسيماً مغايراً ومنّهم د. تمام حسان الذي قسّم الجملة إلى تقسيمين رئيسين هما : الخبرية والإنشائية ، ثم قسّم الخبرية على ثلاثة أقسام : المثبتة، والمنفية، والمؤكدة. و قسّم الجملة الإنشائية على ثلاثة أقسام أيضاً هي : الطلبية ، والشرطية ، و الإفصاحية ، ثم جعل تحت كل منهما تعريفات[13] ، فقد استطاع د.تمام حسان أن يستوعب التراث النحوي والصرفي والبلاغي للعربية ، وحاول أن يجدد في وصف في بعض أنظمتها منطلقاً من تراث إنساني متين واستعان بأفكار اللسانيات والمناهج اللغوية الغربية الحديثة فكانت محاولته بحق كما يقول أنها : ((أجرأ محاولة شاملة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية تجري بعد سيبويه وعبد القاهر))[14] .

نظر د.تمام حسان إلى دراسة الجملة وبيان حدودها في ضوء فكرة التعليق التي أخذها من نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) ، لكنّه تصدّى لها في ضوء العلاقات السياقية والقرائن اللفظية والمعنوية مع محاولته وضع مفهوم جديد لهذا المصطلح بقوله : ((إن التعليق هو إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية))[15] ، ويرى أن : ((ما يجعل السياق سياقاً مترابطاً انما هو ظواهر في طريقة تركيبه ورصفه لولاها لكانت الكلمات المتجاورة غير آخذ بعضها بحجز بعض في علاقات متبادلة تجعل كل كلمة منها واضحة الوظيفة في هذا السياق وتنقسم الوسائل التي تخلق هذا الرابط إلى ثلاثة أقسام :

1- وسائل التماسك السياقي.
2- وسائل التوافق السياقي.
3- وسائل التأثير السياقي))[16]

وقد خرج تمام حسان برأي يرى فيه أن مباني الكلمة سبعة لا ثلاثة هي : الاسم ، والصفة ، والفعل ، والضمير ، والخالفة ، والظرف ، والأداة ، وهذا التقسيم مبني على الإسقراء المنهجي الوصفي المستقل عن النحو البصري مع الانتفاع بالمدارس الغربية والمبني على أسس من المعنى ، وأسس من المبنى فليس المبنى عنده إلاّ الشكل الذي يظهره، ونلحظ من تقسيم تمام حسان أنه أفرد الصفات الخمس : صفة الفاعل ، وصفة المفعول، وصفة المبالغة ، والصفة المشبهة، وصفة التفضيل ، في قسم خاص بها من أقسام الكلام العربي لما

تتميز به في مجموعها عن بقية الأقسام كقسم الاسم من سمات يتصل بعضها بالمبنى وبعضها الآخر بالمعنى، فهي تختلف عن الاسم في الشكل إذ لها أوزان خاصة بها، وفي المفهوم فهي لا تدل على مسمّى بها كالاسم وإنّما على موصوف بما تحمله من معنى الحدث وهي تختلف عن الأسماء في الصورة الإعرابية، والصيغة، والجدول، والإلصاق وعدمه، والتضام، والدلالة على الحدث والدلالة على الزمن والتعليق ، فالفرق بين كل قسم من هذه الاقسام وبين غيره أساسه مزدوج من المبنى والمعنى فجعل المعاني أو القيم الخلافية أساس التفريق بين هذه الصفات الخمس[17] فتكون أقسام الجمل لديه ثلاثة أقســـام هي :

1- الجملة الاسمية .

2- الجملة الفعلية .

3- الجملة الوصفية، وهي نوعان :

أ- جملة وصفية أصلية تتكون من الوصف المشتق الذي يُذْكر له فاعل أو مفعول به إذا كان متعدياً أو مفعولاً مطلقاً ويتقدم ذلك الوصف نفي أو أستفهام نحو (أقام زيد) فقد بدت الجملة الوصفية جملة أصلية تقف جنباً إلى جنب مع (أيقوم زيد) و(أزيد قائم).

ب- جملة وصفية فرعية تكون إذا تقدمها مبتدأ أو موصوف نحو جملة (قائم أبوه) في (زيد قائم أبوه) ولها نفس المظهر الذي لجملة (زيد يقوم أبوه) .

الجملة الوصفية نقد وتوجيه

يعدّ الدكتور تمام حسان مِن المحدثين الذي اطلق تسمية الجملة الوصفية ، ولعل دراسته في بريطانيا وتأثره بالنظرية السياقية عند فيرث كان السبب الرئيس في اطلاق تلك التسمية ، فقد قسّم الكلمة الى سبعة اقسام كما أسلفنا :

1- الاسم 2- الفعل 3- الصفة 4- الخالفة 5- الضمير 6- الظرف 7- الأداة.

ويقول : إنه تقسيم قائم على الاستقراء، لكن لم نجد الاستقراء في كلامه ، فهو يرجع الى كتب النحو مستقرئا القواعد ، فعلى الباحث أن يذهب الى كلام العرب[18] ، فضلا عن القرآن الكريم والحديث المنقول بالتواتر، وهذا لم يحصل عنده ، وهو يقول كذلك بأنه اتبع المنهج الوصفي، وهو لم يقم بذلك، ويدعي بأن محاولته هي أجرأ كلام بعد كتاب سيبويه والجرجاني[19] .

وهنا نطرح سؤالاً : التقسيمات التي ذكرها صحيحة أم غير صحيحة ؟

الاسم والفعل لا خلاف عليها ، أما الصفة فلم تكن موجودة في النحو القديم ، و إنّما هناك مصطلح الوصف فيه معنيان قديما : الاول هو النعت، و الثاني بمعنى مشتق، ويعنون به الألفاظ التي تشتق قسم منها من بعض، والقدماء يرون بأنها جميعا أسماء وأحيانا يعبرون عنها بالصفة، لكن هذا التعبير لا يعني أنها قسم من أقسام الكلام ، وكذلك المبتدأ يُعبر عنه أحيانا بالمسند إليه، ولا يغيّر ذلك من تقسيماته، و الدكتور تمام حسان جعله قسما مستقلا كذلك فرّق بين أنواع المشتقات كما في صيغة الفاعل والمفعول، وهي مستقلة برأيه، أي ليست أسماءً، فكل نوع يختلف عن الآخر حسب رأيه من حيث المعنى والمبنى، و الصورة الإعرابية، والجدول، والإلصاق، وعدمه، والتضام ، والدلالة على الحدث ، والزمن ، والتعليق ؛ فهو يقول: ((تختلف كل صفة منها عن الاخريات مبنى ومعنى ، فأما من حيث المبنى فلكل فئة منها صيغ خاصة))[20].

و يذكر أيضا أنه عندما قرأ التعريفات القديمة للمشتقات ادرك أنها لا تدل على مسمى بها، وإنّما تدل على موصوف، لما تحمله من معنى الحدث (أي المصدر) وهي خارجة عن تعريف الاسم (وهو ما دل على مسمى) ، و الفصل هو ما يميز بين هذه الأنواع[21]، والالفاظ إمّا تدل على معنى في ذاتها أو لا ، فإن دلّت على مسمى في ذاتها فهي اسم، وإن دلّت على مسمى والحدث فهي فعل، و الدكتور تمام حسان يفرّق بين المشتقات في الدلالة على المسمى، فتخرج من تعريف الاسم، وأصبح قسما مستقلا بذاته .

وعلينا هنا أن نطرح تساؤلاً آخرَ وهو هل الصفة خالية من الدلالة على المسمى ؟
فيمكن الإجابة عنه بأن المسمى هو الذات بصرف النظر عن أي صفة من صفاتـــــه و لذلك فإن الأعلام والضمائر والأسماء الموصولة وغيرها، كلها تدل على الذات وهي بذلك أسماء، اذن ما علاقة الاسم بالموصوف، أو بدلالة الموصوف ، فكل موصوف لا يخلو من دلالة على الذات، أي أنه ذات وصفت بصفة معينة لا يخرج اللفظ من اسميته.

فعند التحليل نجد أن الذات موجودة ولكن ينظر إلى صفة من صفاتها تدل عليه ، فنقول كريم على سبيل المثال فيها ذات وهو رجل معين وصف بصفة الكرم ، فإذا كانت الذات موجودة فتدخل إلى قسم الأسماء، وبذلك يمكن اعتبار تقسيم الدكتور تمام حسان فيه نوع من عدم الدقة ، كون الصفات تختلف ، فمرة تكون على نحو الفاعل أو المفعول أو المبالغة ، ومرة تكون على شكل الصفات الثابتة .

نتيجة البحث:

بعد الدراسة يمكن التوصل لعدّة نتائج أهمها :

1- نجد أن الصفة تدل على ذات مع صفة، ولما دلت على ذات مع النظر الى صفتها داخلة تحت أقسام الاسم، وإذا كان كذلك فان مفهوم الجملة الوصفية يعود أيضا إلى الجملة الاسمية، لأنّها تبدأ باسم .

2- تعتبر مرحلة ابن هشام الأنصاري من أهم مراحل النحو العربي فقد أضاف الكثير له من خلال تطوير مفهوم الجملة العربية .

3- للدكتور تمام حسان إضافة مهمة في طريق تجديد النحو العربي من خلال قراءة التراث العربي قراءة معمقة ، وكان لدراسته في المحيط الغربي الأثر الواضح في ذلك التجديد .

علما أنّ ما تمّ طرحه من نقد ما هو إلا وجهة نظر بحثية ، يمكن نقدها بوجهة نظر مغايرة بالدليل .

المصادر :

1. الايضاح ، أبو علي الفارسي ، ت حسن شاذلي فرهود ، 1969
2. الجمل في المحو ، أبو القاسم الزجاجي ، ت على توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، دار الامل ، 1984
3. شرح المفصل، ابن يعيش، إدارة الطبعة المنيرية، (د.ت).
4. الكتاب ، سيبويه ، ت عبد السلام هارون ، الخانجي، (د.ت).
5. اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، دار الثقافة، (د.ت)
6. معاني القرآن ، أبو إسحاق الزجاج ، ت عبد الجليل عبده شبلي ، 1988.
7. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري ، ت مازن المبارك - حمد علي حمد الله ، 1964م.
8. المفصل في صنعة الإعراب ، الزمخشري ، ت د. علي بو ملحم ، مكتبة الهلال – بيروت ، ط1، ١٩٩٣م.
9. المقتضب ، المبرد ، ت محمد عبد الخالق عضيمة ، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة ، ط. الأوقاف المصرية ، 1994.
10. مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1990.

الهوامش

(1) الكتاب ، سيبويه : 3 /32 .

(2) المصدر نفسه : 3 /119 .

(3) المصدر نفسه : 1 / 23 .

(4) المصدر نفسه / الصفحة نفسها .

(5) ينظر معاني القرآن ، يحيى بن زياد الفرَّاء : 2 / 10 .

(6) المقتضب ، المبرد : 1/ 146 .

(7) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري : 1/ 37 .

(8) الإيضاح ، ابو علي الفارسي : 92 .

(9) ينظر المفصل ، الزمخشري : 24 .

(10) شرح المفصل ، ابن يعيش : 1/ 229 .

(11) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري : 2/ 38 .

(12) المصدر نفسه : 2/ 42 .

(13) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها،، د تمام حسان : 242 .

(14) اللغة العربية معناها ومبناها ، د . تمام حسان : 10 .

(15) المصدر نفسه : 188 .

(16) مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان : 237 .

(17) ينظر ، اللغة العربية معناها ومبناها : 90 .

(18) يعد استقراء كلام العرب المنطوق منه في الوقت الحاضر ضرب من الخيال ، و اذا كان القصد استقراء الكلام المكتوب فهو لم يصل الى دقة المعلومات التي تجعله يضع هكذا تقسيم ، فوفق اللسانيات الحديثة وما يختص بالتداولية والتي تتطرق إلى دراسة الجملة من حيث كونها إنشائية وخبرية وصولا الى فعلية الجملة او اسميتها فالاستقراء يتطلب استقراءً تواصليا مباشرة لفهم تفاصيل اكثر دقة ، وهذا لا يمكن نيل مراده .

(19) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها ، د .تمام حسان : 10 .

(20) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(21) ينظر المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .